موقع المحمدية (المسيلة) – بالمغرب الأوسط – ودورها الحضاري بين القرنين الرابع والخامس الهجريين (١٠- ١١م).

د. موسى هيصام•

الملخص:

المحمدية(المسيلة) بالمغرب الأوسط (الجزائر حاليا) أسسها عامل المدينة علي بن حمدون بن سماك الجذامي سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، بأمر من الحاكم الفاطمي أبي القاسم محمد – القائم بأمر الله – فنسبت إليه.

فكان موقع اختيار بنائها، مستندا إلى مؤهلات جغرافية ضمنت تحصينها طبيعيا، وفق الأهداف المخططة لتحقيقها، أي تأديتها لدور عسكري وآخر حضاري، قوامها الوقوف حصنا منيعا ومتقدما لحماية الحدود الغربية للدولة الفاطمية التي واجهتها تحديات عدة، أبرزها تهديدات بطون قبيلة زناتة المختلفة، وكذا تدعيمها فيما بعد بمدن تحصينية عسكرية أخرى لتأدية نفس الغرض، على غرار مدينة أشير إلى الغرب منها، والتي بدأ إعمارها ابتداء من سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، وقلعة بني حماد شرقا سنة ٣٩٨هـ/١٠٠٧م.

بالمقابل تأديتها لأدوار حضارية مستغلة في ذلك موقعها الهام والمتميز الواقع على طريق التجارة التقليدي الرابط بين القيروان شرقا وسجلماسة وفاس غربا، واستغلال الموارد المتوفرة في فضاء الحضنة المترامي الأطراف، فكانت على غرار غيرها من حواضر المغرب الأوسط الأخرى، سندا قويا للدولة الفاطمية في ترسيخ قواعدها في المنطقة كلها.

الكلمات المفتاحية:

عبيد الله المهدي–أبو القاسم(القائم بأمر الله الفاطمي) –أبو يزيد الخارجي– المعز لدين الله الفاطمي– ابن حمدون– ابن خزر– ابن النحوي – ابن هانئ الأندلسي– الفاطميون – الزيريون – قبيلة صنهاجة –قبيلة زناتة – بني برزال– الفاطميون – الزيريون .

المحمدية(المسيلة)– المغرب الأوسط– القيروان–المهدية– تونس– بلاد الزاب– طبنة– آشير – تيهرت–سجلماسة–قلعة بني حماد– بجاية– تلمسان– فاس

• أستاذ محاضر بجامعة يحيى فارس بالمديـــــة – الجهورية الجزائرية. mous_haiss@yahoo.fr

مقدمة:

الحضنة منطقة يتحدد موقعها إلى الشمال من منطقة الزاب بالمغرب الأوسط، وقد أطلق المسلمون مصطلح الحضنة على ذلك الفضاء السهلي الواسع االمحصور بين الأطلسين التلي والصحراوي، والممتد من جبال أوراس وجبال بلزمة شرقاً، إلى جبال ونوغة غرباً، مرورا بالمرتفعات المحلية، أي جبال بوطالب والمعاضيد، والتي توجد بها قمة تاقربوست التي ارتبطت تاريخيا بقلعتي كيانة، وبني حماد خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين(١٠-١١م).

ساهم موقعها الوسطي بالنسبة لطريق التجارة التقليدي الرابط بين المهدية والقيروان شرقا، وسجلماسة وفاس غربا، بالتحكم في حركة التجارة، مما أهلها للمساهمة في الحركية السياسية والحضارية التي شهدتها المنطقة منذ تأسيسها سنة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م لتكون قاعدة متقدمة، أعتمدها الفاطميون لتأدية وظائف عدة، في مقدمتها الوقوف سداً منيعاً حال دون تهديد أمن دولتهم، والمحافظة على مداخيلها، والتي مثلت فيها قبيلة زناتة رأس الحربة.

أولا: بحكم الخلافات والصراعات القبلية بينها وبين القبائل البربرية الكبرى الأخرى، على غرار: كتامة وصنهاجة ومن والاهما.

وثانيا: الولاءات السياسية والمذهبية لكل منها، فقد دعمت الأولتين الدولة الفاطمية، بل كانت كتامة محتضنة الدعوة الإسماعلية الشيعية والمنتصرة لها، وساهمت صنهاجة في الفاع عن عاصمة الفاطيين - المهدية - أثناء حصار الخوارج الصفرية لها بين سنتي ٣٣٤-٣٣٦هـ/٩٤٥- ٩٤٧م، بقيادة زعميهم أبي يزيد الخارجي المكنى مخلد بن كيداد.

فكان من أهداف اختيار منطقة الحضنة لاختطاطها، ما تمتعت به من موقع وسطي متميز سمح لها بالمساهمة في دعم الإمامة الفاطمية بالمهدية، بحكم مركزها الذي أهلها للوقوف في وجه المخاطر التي كانت تتهدها، خاصة والقائمين على الدولة يعكفون على وضع اللبنات الأولى لتأسيسها، وضمان دعم حلفائها، خاصة تلك التي تهددتها من الجهة الغربية، والمتمثلة في ترصد قبيلة زناتة ببطونها المختلفة، ومقارعتها الدائمة للفاطميين والقبائل الموالية لهم بالمنطقة، وجعل المدينة الفتية - المسيلة - قاعدة عسكرية في المنطقة، لحماية ظهرها من التحديات المذكورة، إضافة إلى اتخاذها منطلقا للقضاء على الثوارت الداخلية، التي ما فتئت تنشب هنا وهناك، والتي كان أخطرها على الإطلاق ثورتي أبي يزيد مخلد بن كيداد الأولى والثانية، خاصة هذه الأخيرة التي تحالف فيها مخلد بن كيداد مع زعماء المالكية وفقهائها بالقيروان، والتي مثلت أرضي الحضنة بعضا من أطوارها، في كل من كيانة وتاقروست، فكان للمسيلة - المحمدية - وما يحيط بها شرف القضاء على

ثورة أبي يزيد الثانية سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، على حد تعبير الفاطميين، بعد أن تم إلقاء القبض عليه وهو مثخن بالجراح التي أصابته جراء حدة الواجهة التي دارت بينها، لتحمل جثته إلى القيروان ويطاف بها بين الأحياء والأسواق في محاولة منهم لترهيب وردع كل من تسول له نفسه النيل منهم ومن أمنهم.

دواعي وأبعاد تخطيط المحمدية (المسيلة):

قرر أبو القاسم محمد القائم بناء مدينة المسيلة وسط بطون .زناتة مثل بربر بني برزال، وبني كملان ، وهوارة، وصدراته، ومزاته وغيرها[١]، فاتسعت المحمدية على عهد ولاتها آل حمدون لتشمل كامل إقليم الزاب، الذي اعتمد في عصر الولاة (٩٦-١٨٤هـ/ ٧١٥-٨٠٠م) ضمن خمس ولايات بالمغرب والأندلس، يتسميتها: ولاية الزاب وقاعدته طبنة[٢]، لينقل مركزها من هذه الأخيرة إلى المحمدية، فصارت الحضنة مشرفة على إقليم الزاب كله، وقلبها منطقة الحضنة بدون منازع، فامتد نطاق حدوده إلى باغاية وجبل أوراس شرقا، وإلى سوق حمزة – البويرة– وآشير بالشمال الغربي والغرب، وإلى واحات بسكرة ووركلا – ورقلة – جنوبا، فهذا الإطار المذكور ضبطه ياقوت الحموي عند إحصائه للحواضر التي احتواها " الزاب الكبير"[٣] الذي أورد الشاعر ابن هانئ الأندلسي ذكره في نظم له، وهو يمدح عاملها المعين من قبل الفاطميين "علي بن حمدون" بقوله:

ألا أيها الوادي المقدس بالندى *** وأهل الندى، قلبي إليك مشرق

ويا أيها القصر المنيف قبابه *** على الزاب لا يُسّدد إليك طريق

---

[١] كمال بيرم، بلدية المسيلة المختلطة دراسة اقتصادية واجتماعية (١٨٤٥-١٩٤٥)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستيرفي تاريخ وحضارات البحر المتوسط، (مخطوطة)، إشراف أ.د/ مصطفى حداد، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ص ١٥ وما بعدها.

[٢] رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ط٢، د.ت، ص١٩.

[٣] الزاب كلمة بربرية تعني السبخة أو الشط، ومنها شط الحضنة وملغيغ، والتي تعد المسيلة جزءا منه، قال الحموي:" قال السلفي، سمعت المنورقي يقول: الزاب الكبير منه قسنطينة وبسكرة وطولقة ، وتوزر وقفصة ونفزاوة..إلخ، وإليها ينسب محمد بن الحسن التميمي الزابي الطبني"، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، دار صادر بيروت، لبنان، ١٩٧٧، ص١٢٤، جاء ذكر الزاب في قصيدة لابن هانئ الأندلسي:

ورأيت حولي وفد كل قبيلة *** حتى توهمت العراق الزابا

أرضا وطئت الدّر رّضراضا بها *** والمسك تراباً والرّياض جنابا

ورأيت أجبل أرضها منقادة *** فحسبتها مدت إليك رقبا

ابن هانئ الأندلسي، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٥٢.

ويا ملك الزاب الرفيع عماده *** بقيت لجمع المجد وهو نزيق

على ملك الزاب السلام مرددا *** وريحان مسك بالسلام فتيق[٤]

فكان منها:" قسنطينة وبسكرة وطولقة"، وزاد عليها كلا من توزر ونفطة وقفصة بالمغرب الأدنى، فعد من ولايات الفاطميين بالمغرب الأوسط مدينة المسيلة[٥]، وعاملها جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي، كما أشرف حينها زيري بن مناد على مدينة آشير وما والاها، هذا التماس بين الحاضرتين المتجاورتين، ولّد تنافسا حاداً بين الزعيمين الحربيين المذكورين، لمن يقدم منهما خدمات أكبر للفاطميين، خاصة صدّ الحملات الزناتية غربا، والوقوف في وجه تهديدات الحركات الثورية الانفصالية، وعلى رأسها ثورة أبي يزيد الخارجي التي تنافس الطرفان في تقديم أقصى ما يملكان من إمكانات للتصدي لها والعمل على إجهاضها، لإثبات الولاء للأئمة الفاطميين، فبينما أنقذ زيري بن مناد الصنهاجي عاصمتهم " المهدية"، بكسر الحصار الذي فرضه عليها الخارجي سنة ٣٣٥هـ/٩٧١م، وحال دون سقوط الدولة بكاملها، فإن علي بن حمدون قُتل في إحدى المعارك التي خاضها ضد هذا الأخير، فكانت استفادة أبنائه خاصة جعفر ويحيى من المكاسب والمكانة التي حظي بها والدهما في البلاط الفاطمي، فكانت أكبر مؤشراته العرض المقدم لكل من جعفر بن حمدون[٦]، وبلكين يوسف بن زيري، عشية مغادرة الإمام الفاطمي الرابع المعز لدين الفاطمي لبلاد المغرب صوب مستقره بالقاهرة سنة٣٦٢هـ/٩٧٢م، كما سيأتي ذكره.

وعليه تحددت أهمية المحمدية – المسيلة – بـ :

– موقعها الوسطي بين المغربين الأدنى والأقصى.

– وقوعها على طريق التجارة الرابط بين القيروان وسجلماسة مرورا بتهرت وغيرها من الحواضر الأخرى.

---

[٤] الأبيات أوردها، الحموي في معجم البلدان، ونسبها لابن هانئ الأندلسي ، ولا نجدها في ديوان شعر هذا الأخير، أنظر: الحموي، نفسه، ص ١٢٤.

[٥] بالفتح ثم الكسر، والياء الساكنة ولام، مدينة من أعمال الزاب بالمغرب الأوسط، تسمى المحمدية نسبة لمن أمر باختطاطها محمد بن المهدي القاسم أو القائم بأمر الله الفاطمي (٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٣-٩٤٥م) كان ذلك سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، للمزيد عنها أنظر: الحموي، نفسه، ج٥، ص ص١٣٠، ١٣١.

[٦] هو أبوعلي جعفر بن علي بن أحمد بن حمدون الأندلسي، صاحب المسيلة وأمير الزاب من أعمال إفريقية، بالشجاعة والإقدام، وتقديره لأهل العلم، ومنهم على الخصوص شاعر بلاطه محمد بن هانئ الأندلسي، للمزيد عنه أنظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج ١، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص٣٦٠.

– تنوع القبائل المستقرة بالمنطقة وتباين ولاءها السياسي والمذهبي بين قبيلة بني برزال النكارية، وبني كميلان الهوارية وعجيسة البرنسية[٧].

هذه المعطيات والإمكانات ساهمت بشكل كبير في تأمين منطقة الحضنة، وجعلها تساهم في دعم ظهر الدولة الفاطمية، والذي استدعى بالضرورة استيعاب هذه القبائل أو تحييدها، بحكم مضاربها المعقدة تضاريسيا والمشرفة على أطراف جبال المعاضيد وتاقربوست وغيرها.

اتفقت المصادر المختلفة سواء السنية منها أو الشيعية على تبيان وحدة دواعي وظروف تأسيس المدينة، فربطوه بأبعاد تأدية المدينة لأدوار عسكرية وأمنية وحضارية، حددها أبو القاسم القائم بالله الفاطمي صاحب فكرة تخطيطها سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، عقب زحف عبد الله بن خزر على تاهرت سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م، مستعينا في ذلك بقوة قبلية كبيرة من جموع زناتة ومن تحالف معه من البربر، هاجمت المدينة التي كان يشرف على إدارة شؤونها عامل الفاطميين"يصل بن حبوس"، حيث تمكن هذا الأخير بما امتلكه من قوة عسكرية حدد إدريس الداعي عدد فرسانها بما يزيد عن الثلاثمائة فارس[٨]، فكان النصر حليف "بن حبوس"، إذ تمكن من إلحاق الهزيمة بابن خزر، والقضاء على أكثر قادة جيشه، وغنم ما حمله معه من مؤن.

ونتيجة لتجدد اجتماع قبائل البربر بزعامة زناتة حول تاهرت، وتهديدها لحياضها مرة أخرى، أمر – المهدي– بالاستعداد وحشد كتامة وما أحصاه من جنود وعبيد، آمرا ابنه أبا القاسم بقيادة الجيش والخروج من المهدية في شهر صفر سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، فقد وصف إدريس الداعي مسار هذه الحملة بقوله: ".. وسار حتى انتهى إلى الأربس، فوفاه بها خليل بن اسحاق التميمي بعساكر إفريقية، وكان قد جمعهم إلى إليها، فبلغت عدتهم أربعين ألفا، ثم رحل من باغاية .. فنزل في أشراف مسيلة بني عيسى"[٩]، إلى أن انتهى إلى سطيف، حيث تم استقباله من شيوخ كتامة وعامتها.

وعليه تكون الحملة التي قادها أبو القاسم باتجاه الغرب بهدف القضاء على التهديدات الزناتية وغيرها من القبائل بقيادة محمد بن خزر، سببا في اكتشاف أبي القاسم لنقاط الضعف والقوة التي تتمتع بها منطقة المغرب الأوسط، ومنها نزوله

---

[٧] صالح بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي – دراسة تاريخية أثرية– منشورات الحضارة، بئر التوتة ، الجزائر، ط ، ص١٣.

[٨] إدريس عماد الدين الداعي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب – القسم الخاص من كتاب: عيون الأخبار – تحقيق: محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٦، ص ٢١٤.

[٩] نفسه، ص ١١٥،

بقلعة كيانة المشرفة بتضاريسها الوعرة على فضاء متميز، وكذا الامكانات الاقتصادية التي استوعبتها، مما سمح لهم بإنشاء حاضرة تمكنهم من تأمين تواجدهم بالمنطقة، على غرار المدن التي افتكوها من الدول التي اجهزوا عليها غداة تأسيس دولتهم، مثل الحواضر الأغلبية والرستمية والمدرارية.

وما يؤيد هذه الفكرة، ما ذهب إليه إدريس الداعي وهو بصدد تتبع سير حملة أبي القاسم صوب تاهرت وما ولاها، بقوله: " وأنفذ كتبه إلى القبائل كافة، وأعذر إلى مزاتة وكيانة وبني كملان .. وأنفذ الجيوش مع وجوه كتامة، وأمر عليهم جعفر بن عبيد"[١٠]، كان ذلك شهر جمادى الثانية سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، باجتماع قبائل كيانة وبني كملان، وقبائل زناتة، فقد تحصنوا في قلعة منيعة وعرة المسالك، صعبة المرام، تعرف بعقار، فقصدتهم عساكر الفاطميين مستندين إلى الجبال المحيطة بالمنطقة، فكان النصر حليفهم، وعقب ذلك أمر القائم، أحد قادتهم والمشبعين بدعوتهم والمسمى "علي بن حمدون"[١١]، بتخطيط مدينة المحمدية –المسيلة– وجعلها داراً لإمارته، فأسكن بها قبيلة عجيسة وعددا من العبيد، فوصفت بأنها أرض فيها مياه جارية، وفحوص كثيرة، ومزارع فسيحة[١٢]. فقد تعددت الغارات والحملات الزناتية بقيادة محمد بن خزر المغراوي الذي تمكن منذ سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م من تحقيق انتصارات عدة على حساب الفاطميين، سمحت له بتهديد الوجود الفاطمي برمته بالمنطقة، من خلال مهاجمته لتيهرت سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، ورغم دفع الحاكم الفاطمي عبيد الله المهدي لبعض القادة من جيشه برئاسة موسى بن محمد الكتامي لملاحقة ابن خزر ووضع حد لتحركاته، إلا أن محاولته باءت بالفشل، نظرا لنظام الكرّ والفرّ التي كانت تعتمدها قبيلة زناتة وغيرها من القبائل البربرية الأخرى. القبلية، مما قاد المهدي للدفع بابنه وحجته أبي القاسم، لترأس الجيش بنفسه، حيث تمكن من فرض السيطرة الفاطمية الكاملة على تيهرت وما جاورها سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، مؤمناً بذلك الجزء الأكبر من الجهة الغربية للمغرب الأوسط ، مدعما بحشد من قبيلة كتامة، فكان من نتائج هذه الحركة تحييد القبائل المساندة لبني

[١٠] إدريس الداعي، المصدر السابق، ص٢١٦.

[١١] امحمد اليعلاوي، "بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر بن هانئ الأندلسي"، مقال مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،العدد ٢٤، السنة الرابعة، أفريل – مارس ١٩٧٥ ، ص٤٩، محمود علي المكي، " في الأندلس"، مقال بصحيفة المعهد المصري للدرسات الإسلامية في مدريد، يصدرها المعهد المصري للدراسات، طبع بمطبعة المعهد المصري بمدريد، مدريد، اسبانيا، ط١٩٥٤، ٩٨ وما بعدها.

[١٢] نفسه، ص ٢١٧.

خزر، ورغم تواتر الأخبار بفرار زعيمهم١٣، إلا أن أبا القاسم واصل مسيرة نحو الغرب قاصدا تاهرت بعد تراجع ابن خزر وما تبقى من قواته باتجاه الجنوب[١٤].

هذه التحديات التي لازمت تاريخ الدولة الفاطمية في هذه الفترة، مع التقييم الذي خلص إليه أبو القاسم بإطلاعه عن كثب، على الإمكانات والقدرات التي تشرف عليها المنطقة، بمكوث هذا الأخير بتاهرت ما يربو عن شهر كامل، مكنه من تقييم الأوضاع، واتخاذ قرارات هامة، صبت كلها في اتجاه تدعيم قاعدة تاهرت وغيرها من الحواضر في التصدي لمثل هذه الحملات، بإنشاء قاعدة المحمدية – المسيلة – الجديدة.

فكان من أسباب إنشائها:

– التهديد الزناتي للحدود الغربية الفاطمية بقيادة الأخوين محمد وعبد الله بن خزر، حيث تمكنا من إخضاع المنطقة المحصورة بين الزاب والجريد، لتصبح منذ سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، ولاية خالصة للزناتيين تحت حكم عبد الله بن خزر.

– وضع حد نهائي للمخاطر التي باتت تتهدد دولتهم الفتية بالمغربين الأوسط والأقصى، ومن ثمّ وضع أليات عملية حددها وأشرف عليها بنفسه، من خلال تخطيطه لبناء مدينة جديدة تفي بتحقيق الأغراض الإدارية والعسكرية والحضارية التي أنشئت من أجلها مدينة المسيلة.

فانطلاقا من مدينة الأربس بدأ القائم حملته صوب الغرب، فقد وافاه بها خليل بن اسحاق التميمي على راس قوة قوامها أربعين ألفا (٤٠) رحل من جند إفريقية، ومنها إلى باغاية حيث انضم إليه حشد من القبائل المستقرة بالمغرب الأوسط على غرار مزاتة وهوارة وعجيسة وأهل تيجس والقصر الإفريقي[١٥]، ومنها إلى سطيف مرورا ببلاد كتامة، وبالموازاة مع ذلك تتبع المناوئين لدولته من قبائل كيانة وبني كملان ونتيجة للتحديات المتكررة التي واجهة الفاطميين في المغرب الأوسط، منها التحركات المتتالية للزناتيين ومن والاهم، أمر أبو القاسم ببناء قاعدة قارة لهم بالمنطقة بأرض الحضنة التي استوعبت قبائل بني برزال وبني كملان، مكلفا علي

---

[١٣] سعد زغلول عبد الحميد، المغرب العربي – الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين – ج٣، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط ١٩٩٨، ص١٠٦.

[١٤] بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني– ج٣، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط ، ص١٥٠ وما بعدها.

[١٥] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٤، تحقيق: حسين نصار، ومراجعة: عبد العزيز الأهواني، المكبة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط١٩٢.

بن حمدون الأندلسي[١٦]، وتحصينها وتعميرها، وإدارة شؤونها حيث نسبت إليه – محمد أبو القاسم – فسميت "المحمدية"[١٧] أو المسيلة، كما أورد ذلك أحد شعراء البلاط الفاطمي المدعو أحمد بن محمد المروذي، وهو يمدح إسماعيل المنصور الحاكم الفاطمي الثالث غداة نزوله بالمدينة فقال:

ثم إلى مدينة مرضية *** على التقوى محمدية

أقبل حتى حلها محمية *** بالنور من طلعته المضية

محلّ في عسكره المسيلة *** في هيئة كاملة جميلة

للنصر في أرجائه مخبلة *** بنعمة من ذي العلي جليلة[١٨]

أكد النويري ذلك بقوله:" في سنة خمس وعشرة وثلاثمائة، خرج أبو القاسم ولي العهد إلى بلاد المغرب في عسكر عظيم، وكان خروجه من المهدية في يوم الخميس لسبع مضين من صفر منها، ففتح مزاتة وهوارة، ومطماطة ولماية، وكل من خالطهم من الصفرية والإباضية، وبلغ إلى ما وراء تاهرت، ولما انصرف من سفرته اختط مدينة المسيلة برمحه، أمر علي بن حمدون فبناها وحصّنها، وكانت خطّة لبني كملان، فأخرجهم منها، أمرهم أن يرتفعوا إلى فحص القيروان، وانتقل الناس إليها وعظم أمرها"[١٩].

شعر الحكام الفاطميون بضرورة اتخاذ قاعدة مركزية لهم في قلب المغرب الأوسط، تتخذ رباطا لجيوشهم التي كانت تحارب بعيدا عن مركز الدولة وعاصمتها المهدية، كونه ليس من السهل إمدادها بالسلاح والمؤونة، فكان الإلحاح جادا من قبل المهدي على ضرورة إقامة حصن يؤمن حدود دولته من جهة الغرب، عقب عودة أبي القاسم محمد من حملته على المغرب سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، للحد من تحرشات زناتة، فارتاد لذلك موضع المسيلة (المحمدية) المشرف على نهر كثير المياه،

[١٦] سعد زغلول، المرجع السابق، ص١٠٦.

[١٧] نفسه، ص١٥١.

[١٨] أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت، ص٥٩.

[١٩] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٨، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، ومحمد حلمي محمد أحمد، دار الكتب المصرية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، مصر، ط١٩٩٢، ص١١٣.

والذي استقرت على ضفافه قبائل عدة ذات شكيمة وصولة، هي قبيلة بني برزال[٢٠]، وبني كملان من هوارة، ومزاتة .

شكل تأسيس المدينة في موضعها ذاك، إحراجا كبيرا للزناتيين، لكون المنطقة تشرف على مراعي واسعة، وعيون سائحة، ساهمت في توفير ثروة حيوانية متنوعة، قوامها المواشي والخيول التي استفادت منها الدولة الفاطمية، كما تعد همزة وصل بين الصحراء والمناطق التلية الغنية بالكلأ والمسارح الفسيحة والمياه المتدفقة، التي سمى البكري بعض الأودية المغذية للمدينة فقال: " ونهر سهر الذي عليه مدينة المسيلة، منبعثة من عيون داخل مدينة غدير – برج الغدير حاليا – وأروا، وهي ... بين جبال مدينة عين ثرة عذبة عليهاالأرجاء، وتحتها عين خرارة يقال لها عين مخلة تجتمع فيها، وهن هناك منبعث نهر سهر"[٢١].

كما ازداد وضع قبيلة زناتة سوءاً، عندما أقدم زيري بن مناد الصنهاجي على اختطاط مدينة آشير سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، فشكلت المنطقة المحصورة بين المدينتين سدا منيعا حال دون توغل القبيلة شرقا لتهديد الوجود الفاطمي، وضيق عليهم سبل عيشهم، وتعريض ممتلكاتهم للضياع خاصة الأنعام منها، كما منع توغلهم إلى المناطق الداخلية والتلية لضمان قوتهم خاصة في فترات الجفاف بحثا عن الماء والكلأ، فلم يبق أمامهم سوى استخدام أسلوب القوة والغزو وسيلة للدفاع عن حياضهم، واسترجاع هيبتهم.

اسندت مهمة تخطيط المدينة إلى كان إلى جانب أخيه محمد ووالده حمدون، من قواد الدولة الفاطمية ودعاتها، خصوصا هذا الأخير مؤسس الأسرة، المكنى عبد الحميد بن سماك الجذامي الأندلسي من أصول يمنية – جذام – وانقلب اسمه إلى "حمدون" اختصارا، قدم من البيرة بالأندلس إلى مضارب كتامة بالمغرب الأوسط حيث انتصب دعاة الشيعة الاسماعلية بايكجان وفج الأخيار وغيرهما، يكون قد عمل بمسقط رأسه بالأندلس على نشر المذهب الشيعي، خاصة وأن أنصاره قادوا ثورات عدة بالعدوة الأخرى، خاصة، وبالذات بالمنطقة التي كانت تعرف بـــ" الجوف"، وكذا المناطق الجبلية المحيطة بها جنوب شرق الأندلس في كورة " البيرة"، ويكون حمدون هذا قد خرج فاراً منها ليلجأ إلى بلاد المغرب بعد فشل تلك الثورات، ليتصل بعبيد الله المهدي وابنه القائم، إذ يشير الباحث فرحات الدشراوي وأخرون إلى الدورالمبكر الذي قام به الدعاة الأوائل الذين قد يكون من بينهم علي

---

[٢٠] ينتمي بني برزال للمسيلة، وهي بطن من بطون زناتة من بني يفرن، استقروا بالمغرب الأوسط بأرض المسيلة والزاب الأسفل، فموطنهم بالجبال المحاذية للمسيلة، أنظر: إبراهيم فخار، " بنو برزال لمسيلة"، مقال مجلة " الثقافة"، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، العدد٢٠، ربيع الأول والثاني ١٣٩٤هـ/ أفريل – ماي ١٩٧٤، الجزائر، ص ص٣٨ ،٣٩.

[٢١] البكري، المصدر السابق، ص ص ٥٩،٦٠.

بن حمدون الذي وضع نفسه في خدمة الدعوة الإسماعيلية قبل التمكين لها في بلاد المغرب، من خلال تنبيه عبيد الله المهدي وهو في طريق تنقله من مصر إلى ايكجان[٢٢]، وهو تفسير قدمه جعفر بن علي بن حمدون نفسه، مركز الدعوة بمضارب قبيلة كتامة، يخبره بضرورة تغيير مسار رحلته التي كانت محددة باتجاه هذه الأخيرة، وتحريفها صوب سجلماسة بسبب تمكن عيون الأغالبة من رصد تحركاته هو وابنه[٢٣]، عقب القبض على الداعي أبي العباس المخطوم أخو أبي عبد الله الشيعي[٢٤]، فكان قراره بسلوك طريق التجارة الرابط بين القيروان وسجلماسة، حيث كان مستقره، وسجنه، وانتهاء بتحريره سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م، من طرف أبي عبد الله الشيعي، وتنصيبه بعدها برقادة على رأس السلطة الفاطمية، واعتباره أول إمام ظاهر، فكان عربون الوفاء لعلي ابن حمدون تكليفه ببناء المدينة وتعميرها، والعقد له على ولاية بلاد الزاب، فجعل المدينة – المسيلة – قاعدة عسكرية تنطلق منها حملات الفاطميين نحو الغرب، كما كان للعامل الاقتصادي أهميته البارزة في إنشائها، فقد سعى الفاطميون من خلالها إلى إيقاف الحيوية التجارية التجارية التي تميزت بها مضارب قبيلة زناتة، ومن ثم إبعاد أيدي غزاتها عن الموارد التجارية الهامة القادمة خاصة من بلاد السودان[٢٥].

فتأسيس حاضرة المسيلة عدّ ضربة موجعة للزناتيين، وهو ما يؤكد محاولاتهم المتكررة للإجهاز عليهم وتحطيمها، رغم الهزائم التي تعرضوا لها على يد قبيلة صنهاجة، فكانت محاولاتهم اليائسة لإيجاد متنفس ينعشون به اقتصادهم، وتحسين ظروف معيشتهم، ولعل ذلك ما يفسر تقلص حدود المساحة الجغرافية التي صاروا يستحوذون عليها بالمغرب الأوسط[٢٦]، كما ساعدت خصوبة تربتها على انتاج

---

[٢٢] فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦-٣٦٥هـ/٩٠٩-٩٧٥م) التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١٩٩٤، ص ص١٧٤،١٧٥؛ محمد سعداني، أسرة بني حمدون الأندلسية ودورها في المغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري/١٠م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة، الإسلامية، إشراف: أ.د/ محمد بن معمر، كلية العلوم افنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية٢٠٠٧/٢٠٠٨، ص٤٦.

[٢٣] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٦٤، ص ص٨٢، ٨٣.

[٢٤] القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٢، ١٩٨٦، ص ١٦٣ وما بعدها.

[٢٥] اليعلاوي، "بلاط بني حمدون"، مقال سابق، ص٤٩، المكي، المرجع السابق، ٩٨.

[٢٦] رضا بن النية، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(٨٠-٣٥٢هـ/٦٩٩-٩٧٣م) دراسة اجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: د. بوبة مجاني، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية ٢٠٠٥/٢٠٠٦، ص ص٩٨، ٩٩.

كميات معتبرة من الحبوب، قوامها الشعير والحنطة، وساهم موقعها المتميز في ازدهار أسواقها، وكثرة سلعها، وزاد من مكانتها نزوح الكثير من الأندلسيين إليها، واستقرارهم بها، مما فعل الحركة العلمية، إذ عمّ الرخاء بها، وتبحرت في عمرانها، واتسعت في معاشها مما انعكس إيجابا على رفاهية ساكنتها.

فتأسيسها كان بأمر وتخطيط من الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله بمنطقة الزاب، ووقد نصب حينها وليا لعهد الدولة الفاطمية بأمر من والده المهدي، فسماها المحمدية تيمننا باسمه – كنيته أبا محمد القاسم – فكان اختياره لموقعها المذكور، وسطا بين سهول الحضنة في جنوبا، وجبال المعاضيد شمالا، أي على مسلك طريق التجارة التقليدي الرابط بين إفريقية غربا وسجلماسة غربا، مرورا بطبنة ومقرة وأشير بالمغرب الأوس، التي انشئت بعد ذلك[٢٧]، حتى يسهل عليهم مراقبة القبائل البربرية المتمردة على السلطة الفاطمية الدخيلة، خاصة منها بطون قبائل مغراوة وبني برزال، التي اعتنقت مذهب الخوارج، فقادوا الثورات الواحدة تلو الأخرى، غير أبهين بالتسلط الذي مارسته هذه الأخيرة على رعاياها على اختلاف مذاهبهم المخالفة لمذهب الدولة الرسمي ألا وهو الشيعي الإسماعيلي، وهو ما فرض عليهم، إنشاء قلاع وحصون حربية على امتداد حواضر وبلدات المغربين الأدنى والأوسط على وجه الخصوص، بهدف مواجهة كل الطوارئ والتحديات المحدقة بهم، فكانت المسيلة واحدة منها.

فكان علي بن حمدون إلى جانب والده وأخيه محمد من قادة الدولة الفاطمية الذين اعتنقوا المذهب الإسماعيلي مبكرا محاولين الاستفادة من الوضع الجديد ومن المتغيرات التي شهدها المغرب الإسلامي في نهاية القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، فوالد حمدون مؤسس الأسرة، هوعبد الحميد بن السماك الجذامي الأندلسي، قدم من البيرة بالأندلس إلى بلاد كتامة حيث انتصب دعاة الشيعة الإسماعلية الفاطمية بقلعة إيكجان، وحمدون تصغير لاسم عبد الحميد الذي تسمى به، ويرجح أنه تصدر التبشير بالدعوة الشيعية بالأندلس، تمهيدا لقدوم صاحب الدعوة في حالة نجاحها وانتشارها في ربوع المنطقة، وساهم أباؤه في نشر الدعوة المذكورة ومنهم ابنه محمد ثم علي، هذا الأخير الذي رافق المهدي من سجلماسة إلى رقادة بعد تحريره وابنه القائم من سجن بني مدرار على يد عبد الله الشيعي سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م، فخدم علي بن حمدون الدولة الفاطمية حتى تم له إنشاء المسيلة لينصب أول أمير عليها[٢٨].

---

[٢٧] موسى لقبال، طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى، مقال مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،العدد ٦٠/٦١، السنة السابعة، أوت – سبتمبر ١٩٧٨، ص٩١ وما بعدها.

[٢٨] اليعلاوي، بلاط بني حمدون، ص٤٩.

كان لعلي ابنين هما: جعفر ويحيى اللذين تولى حاجب المنصور تنشئتهما عرفانا منه للتضحية التي قدمها للدولة ، فقد قتل في إحدى المعارك التي واجه فيها الفاطميون أبا يزيد الخارجي ما بين ٣٣٤-٣٣٦هـ/٩٤٥- ٩٤٧م.

وتعد سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، سنة متميزة في تاريخ هذا الصراع، بحكم ما قررته السلطة الفاطمية ممثلة في عزم عبيد الله المهدي حسم أمر هذا التحدي، حيث كلف حجته وولي عهده، ابنه أبا القاسم بقيادة الجيش والتوجه صوب المغرب الأوسط للقيام بهذه المهمة، فكان مسلكه انطلاقا من المهدية مرورا القيروان، فالأربس حيث أقام بها أياما أين تجمعت حوله قوات كبية من الجند وعناصر قبلية، وسار منها إلى باغاية، فمضارب كتامة، وصولا إلى جبل سالات أين مضارب قبيلة بني برزال، ومكلاتة، اللتين اعترضتا جيشه، غيرأنه تمكن من الانتصار عليهما، ليتوجه بعدها إلى مدغرة، وانتهاء بسوق إبراهيم بالجهة الغربية من المغرب الأوسط، التي مكث بها ما يربو عن الشهر، حيث أعاقت الأمطار والوحل وشدة البرد حركة جيشه.

أورد ابن عذاري نصا يصف فيه ما تعرض له أبا القاسم في الحملة قائلا: " حكى بعض رجال عبيد الله – المهدي – أنه كان قاعدا بين يديه هو وطائفة من خدمته وصحبه، وقد توقفت كتب أبي القاسم عن الورودــ حتى ساءت الظنون من جهته،فورد كتاب إلى أبيه بمحضرهم، فلما فتحه وقرأه بكى، وقال: فخفنا أن يكون قد حدث أمر، وهممنا بالبكاء معه حتى افتتح الكلام، قال: اللهم إنك تعلم أنيّ ما أردت بإخراجه إلى المغرب إلا رضاك، ونصرة دينك، وإذلال أعدائك، وما يسهل عليّ أن أفارقه يوما واحداً، قال: ثم التفت إلينا، فقال: هذا مولاكم يذكر في كتابه أنه أقام في مناخ واحد شهرا كاملاً، عليه المطر كل يوم بالغدو والآصال، وأنه مشى عقابا كثيرة راجلا، إذ لم يستطع الركوب فيها لوعرها، ويقتات كل يوم بيضة أو نحوها .." [٢٩].

وهنا يظهر جليا احساس المهدي وحاشيته بالخطر الذي كان يتهدده من الناحية الغربية لدولته، بقيادة الأخوين ابن خزر ومن والاهما، حيث كلف مصالة بن حبوس انطلاقا من مدينة تيهرت بمواجهة قبيلة زناتة بزعامة ابن خزر، والتي أغار فيها على بعض المناطق الغربية من ولايته في ركب تشكل من أكثر وجوه رجاله ووجهاء بلاطه، مستقويا بما امتلكه من جنود وخيل وعدة، فكانت المواجهة بينها، والتي وصفها ابن عذاري ب" الحرب العظيمة"[٣٠]، إذ انتهت إلى قتل مصالة عامل تيهرت، وانهزام جيشه.

---

[٢٩] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣، ص ص ١٩١، ١٩٢.

[٣٠] نفسه، ص١٨٩.

ورغم أن ابن خزر عاود الكرة بعد ذلك مرات عديدة للاستيلاء على تيهرت وما جاورها مجددا، منها زحفه نحوها سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، إلا أن محاولاته باءت بالفشل، مما استدعى من عبيد الله المهدي الدفع بأحد قادته المكنى بموسى بن محمد الكتامي لتتبعه، ووضع حد لتهديداته، غير أنه منيّ بهزيمة هو الأخر، مما دفعه لطلب مدد إضافي من المهدية، خاصة وتزامن ذلك مع ثورة قبيلة لماية ومن حالفها من القبائل الأخرى ضد الفاطميين، متشجعين بحركة ابن خزر والانتصارات التي حققها، حيث درات بينهما مواجهات عدة، انتهت غالبا سجالا بينهما، ولم يحقق فيها أي طرف انتصارات حاسمة ضد الآخر[٣١]، خاصة أمام حجم القوة التي تم حشدها من طرف الفاطميين، والتي بلغ ضبط بن حماد تعداد جيشها النظامي وغير النظامي، في الحملة التي قادها أبو القاسم بنفسه سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، بـ: خمسمائة ألف من القادة والجند وأفراد القبائل[٣٢]. غداة وصول طلائع الحملة التي قادها أبو القاسم ضد زناتة، انسحب ابن خزر جنوبا صوب الصحراء معتمدا على المهاري التي امتلكها، فاستقر الوضع مؤقتا حسبما أشار إليه ابن حماد: " وهدّن أبو القاسم المغرب وقضى منها المآرب"[٣٣].

وهو ما يعبر عن حجم التخوف الفاطمي من تعاظم شأن هذه الحركة التي شكلت خطرا كبيرا على السلطة الفاطمية الفتية أنذاك، مما استدعى تعبئة هذا الحجم من القوات رغم ملاحظتنا على المبالغة بهذا الرقم الذي أورده بن حماد.

ففي طريق عودته إلى مركز دولته، عرج على وادي سهر أين وقع اختياره على المكان الذي اختط فيه مدينة المسيلة – المحمدية – نسبة لاسم من الأسماء التي يحملها[٣٤]، فقد استخدم رمحه وهو ممتطيا فرسه في وضع التصميم الأولي لتخطيطها، مكلفا في ذات الوقت علي بن حمدون الجذامي المكنى بابن الأندلسية بالقيام بعملية الإعداد لبنائها، وتحصينها، وتعميرها، فكان له ما أراد باتمام تسويرها محدثا به بابين: باب سماه القاسمية نسبة لصاحب فكرة انجازها وتخليدا لذكراه، والثاني سماه باب الأمور[٣٥]، تعبيرا منه عن اتخاذها مستقرا لمركز إداري فاطمي ساهم في الفترة التالية في تأمين وتسيير شؤون المنطقة برمتها، قبل أن تتدعم بمدن

---

[٣١] نفسه، ص١٩١.

[٣٢] أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: التهامي النقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القهرة، مصر، د.ت، ص٤٥.

[٣٣] نفسه، ص ص٤٥، ٤٦.

[٣٤] على خلاف ما أعتقده البعض حسبه، من حمله لاسم عبد الرحمن بدلا من محمد، أنظر ابن حماد، المصدر السابق، ص٤٦.

[٣٥] نفسه، ص ٤٦؛ بيرم، المرجع السابق ، ص٢٣.

وحصون أخرى مكملة للأغراض التي بنيت لأجلها[٣٦]، على غرار مدينة آشير الواقعة إلى الغرب منها والتي شيدها زيري بن مناد الصنهاجي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م، لتأدية نفس المهمة.

أهميتها الحضارية:

نظرا لظهور المدينة وتطورها في وسط مجموعة من الحواضر التي تميزت بتعاقب الدول والحضارات عليه، خاصة المنطقة التي استوعبت المحمدية، أي إقليم الزاب الكبير الذي يدرج ضمن مدنه كلا من طبنة وباغاية[٣٧]، وهي في الواقع امتداد لمنطقة الحضنة التي أشار اليعقوبي إلى استعابها المبكر لأوائل الفاتحين للمغرب الإسلامي بقول: " وطبنة مدينة الزاب العظمى، وهي في وسط الزاب، وبها ينزل الولاة"[٣٨]، وقال موسعا في التعريف بها وبأهميتها: "ومدينة الزاب العظمى طبنة، وهي التي ينزلها الولاة، وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والروم والبربر"[٣٩]، فهذا المناخ والتنوع والاختلاط في الأنساب منح لحاضرة المحمدية – المسيلة – وما جاورها دورا حضاريا متميز استنادا لموقعها الوسطي المتميز، خاصة على عهد مؤسسها علي بن حمدون، وابنيه جعفر ويحيى، إذ بلغت المدينة وما جاورها مكانة عظمى من اتساع خطتها، واستبحار عمرانها، فاستهوت العلماء والتجار وأصحاب الصنائع، فاستقروا بها فأفادوا واستفادوا مما ملكته من المحفزات العلمية والإمكانات الاقتصادية، التي توفرت عليها خاصة في الجانب من حيث خصوبة ترتبها، ووفرة مياهها، فقد أشرفت المنطقة على فضاء واسع زراعي واسع خصب، تنوعت موارده بين الحبوب بمختلف أنواعها، من شعير وحنطة، وكذا الثروة الحيوانية من مواشي وخيول، واختيرت المنطقة لتكون بمثابة عاصمة إقليمية وخزان اقتصادي عند الحاجة، حيث أشار عدد كبير من المؤرخين والجغرافيين إلى غناها بالبساتين والمياه على غرار ما أورده البكري والإدريسي وابن حوقل وابن حماد الصنهاجي في مصنفاتهم، فصارت قاعدة عسكرية ومستقرا أميريا، وحاضر إشعاع في مختلف المجالات وعلى المنطقة بأكملها، وهو ما أشارإليه ابن خلدون في معرض عن الأسرة المؤسسة لها، بقوله: "استجدوابها –

[٣٦] صليحة رحلي، المسيلة وجهتها في العصر الوسيط دراسة منوغرافية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: أ.د/ علاوةعمارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، السنة الجامعية ٢٠١٣/٢٠١٤، ص ص ٣٣، ٣٤.

[٣٧] من ضمن مدن الزاب، بلد واسع استقر به جند الفتح، وعجم من أهل خرسان، وكذا من بقايا روم المغرب القديم، وفي أحوازها سكن بربر هوارة بجبل " أوراس"، أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي، كتاب البلدان، طبع بمدينة ليدن، بمطبعة بريل،هولندا، ط ١٨٦٠، ص١٤٠.

[٣٨] نفسه، ص١٤١.

[٣٩] نفسه، ص١٤٠.

بني حمدون – سلطانا ودولة، وبنوا القصور والمنتزهات، واستفحل بها ملكهم، وقصدهم بها العلماء والشعراء"[٤٠]، ويعزى ذلك لشهرة أسرة بني حمدون، بصفة العلم والفكر، فقد ترعرع أفرادها في بلاطات الفاطميين بدءاً بعلي وانتهاء بيحيى، وهو ما دفعهم لاستيعاب أكبر عدد من هذه الفئة في إمارتهم، وأغدقوا عليهم بالأعطيات والهديا، بهدف تشجيعهم على البقاء في حاضرتهم، ومضاعفة انتجهم العلمي والأدبي.

كما كسبت المنطقة لنفسها مكانة اقتصادية متميزة لها وللدولة الأم، الدولة الفاطمية، فقد أمر أبو القاسم وهو يهمّ بمغادرة المكان الذي اختاره لاختطاطها سنة٣١٥هـ/٩٢٧م، بأن تدخر بها الأقوات، ومختلف أنواع الغلال، وكل ما تستدعيه الظروف والطوارئ من حاجات ففعل، فكان ابن حمدون إذا ارتفعت الأسعار، وشحّ المطر، كتب إلى القائم بأمر الله وهو ولي عهد الدولة الفاطمية حينها، يستأذنه في بيع ما تمّ تخزينه، مبلغاً اياه ما لتلك الزيادة من أهمية في دعم مداخيل الدولة، فكان ينهاه ويأمره بالحرص على تأمين ما تم تجميعه وادخاره، لاستعماله في حوالك الأيام، وهو ما وقع فعلا غداة ثورة "صاحب الحمار" سواء الأولى أو الثانية، حين تمكن هذا الأخير من تضييق الخناق على العاصمة المهدية التي طوق الحصار عليها، وكاد أن ينال منها في الفترة ما بين ٣٣٤-٣٣٦هـ/٩٤٥- ٩٤٧م، لولا المدد الذي تلقوه من المغرب الأوسط سواء من المسيلة أو آشير[٤١]، وهو ما أشار إليه ابن حماد في قوله: "فلم تزل تلك الأطعمة مصونة مختزنة إلى فتنة أبي يزيد"[٤٢]، فكان من دواعي وأهداف تخطيط المدينة:

– بناء المدينة انطلاقة حضارية ارتبطت بالعمران وشكله بها.

– محاولة تغيير الأنماط القبلية بايجاد نسيج قبلي جديد (اجلاء قبائل بني كملان عن الحضنة ودفعهم للهجرة إلى القيروان) للمحافظة على الأمن بها، وبأحوازها.

– جعل المنطقة مخزنا احتياطيا للفاطميين، بملأ المطامير بمختلف أنواع الحبوب، يتم استخدامها عند الحاجة، إضافة إلى الطابع المنبسط لأرضيها الرعوية – تمثل

---

[٤٠] ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ٢٠٣.

[٤١] أصلها ياشير، كلمة بربرية بمعنى المخالب، تسمت المدينة بذلك كناية عن موقعها الذي يسمح للمدافعين عنها بالإجهاز على كل من تسول له نفسه الإغارة عليها أو المساس بأمنها، فهي مدينة وحصن بينها وبين المسيلة مرحلة، تقع ضمن نطاق إقليم الزاب الكبير، أسسها زيري بن مناد الصنهاجي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م، فعرفت المدينة باسمه " أشير زيري"، للمزيد عنها أنظر: محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: غحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط١٩٨٤، ص٤٧٥؛ وإبراهيم زكي خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، مادة " آشير" مقال لمحمد بن أبي شنب، مج ٢، د.ط.ت، ص ص٢٣٤ ، ٢٣٥.

[٤٢] ابن حماد، المصدر السابق، ص ص٤٦،٤٧.

جزءا من الهضاب العليا حاليا – مما يسمح بممارسة تربية المواشي والأبقار والخيول، ويخزن بها الزيتون والمجففات.

مثل موقعها ممرا رئيسيا تقاطع فيه طريق التجارة الرئيسي الرابط بين القيروان وسجلماسة إلى مدينة فاس، مع طرق فرعية أخرى ارتبطت هي أيضا بحواضر عدة ذات أهمية قصوى بالنسبة للدولة، مثل: طريق مسكيانة – طبنة – مقرة[٤٣] وصولا إلى تاهرت.

والثاني: يمر ببلاد كتامة وصولا إلى المحمدية (المسيلة) ، أي إلى الشمال عبر جبل المعاضيد[٤٤].

مظاهر الحياة الثقافية بالحاضرة:

نشطت الحركة الثقافية بشكل متميز في حاضرة المحمدية بحكم العناية والتشجيع من الأسرة الإمارة للعلماء والأدباء والشعراء، فساهموا بعلومهم وآدابهم وإنتاجهم الفكري في تنشيط الحياة الفكرية وإثراء مجلاتها المختلفة، فكان كفيلا بتنشيط الحركية الثقافية بحواضر إقليم الزاب بكامله.

عمل ولاة بني حمدون على تنشيط الحركة العلمية والثقافية، بتشجيعهم للعلماء والفقهاء ورجال الفكر، ساعين لتقريبهم لمجالسهم، مستعينين بمشورتهم، مستوعيين للآدباء والشعراء وجدوا في بلاط المحمدية وحواضر الزاب الأخرى مستقرا لهم، لتفجير طاقاتهم ومواهبهم، فشمولهم برعايتهم، وخصوهم باحترامهم، فقد ترعرع به أو حل بها إما راغبا أو فارا، أسماء خلد التاريخ ذكرها بما، بما انتجته من مدونات فقهية أو مصنفات تاريخية وأدبية أو دواوين شعرية.

ممن اشتهر من أهل العلم والأدب بإقليم الزاب وقاعدته في النصف الأول من القرن الرابع الهجري:

١- **أبو علي حسن بن علي المسيلي(ت.٥٨٠هـ/١١٨٥م):** لقب بأبي حامد الصغير تمييزا له عن الغزالي صاحب كتاب " الإحياء"، نظرا لاشتغاله بعلمي الأصول والكلام، ولي القضاء اعتبارا لتبحره في أصول الدين والفقه، تنقل بين المسيلة وبجاية، حيث احتك برجال العلم والتصوف، من أمثال الزاهد أبي مدين شعيب، كما جمعه مجلس علم دوري قار بإحدى حوانيت بجاية عرف بـــ"مدينة العلم"،

---

[٤٣] مدينة من أعمال الزاب، بينها وبين طبنة ثمانية فراسخ، تعد أقرب بلدة للمحمدية، تقع على طريق التجارة الرئيسي الرابط بين القيروان وسجلماسة، إليها ينسب عبد الله بن أحمد المقري، وكذا أحمد بن محمد المقري التلمساني صاحب كتاب: "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب"، للمزيد عنها أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج٧، ص١٧٥.

[٤٤] بن قربة ، المرجع السابق، ص ص٢٤،٢٥.

بالإماميين عبد الحق الإشبيلي، ومحمد بن عمر القرشي[٤٥]، فلما اعتزل منصب القضاء اهتم بالدراسة واشتغل بنشر العلم والفتوى، عاكفا على التأليف، لجأ إليه سكان الناصرية – بجاية – في الإجابة على نوازلهم، فازدادت شهرته، بعلمه وجرأته في التعامل مع الأحداث والمستجدات في مجال اهتمامه، قال عنه الغبريني:" أدركت ببجاية تسعين مفتيا ما منهم من يعرف الحسن بن علي المسيلي من يكون، كان يقول هذا حين يشار إليه بالتفرد في العلم، والتوحد في الفهم"[٤٦]، له تصانف عدة منها: " التذكرة في أصول علم الدين"، و" النبراس في الرد على المنكر من القياس"، و" التفكير فيما تشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات"، وهو الذي نال شهرته ، فتلقب بـــ" أبي حامد الصغير"، حيث حاكى فيه مسلك الغزالي في الإحياء، وصفه الغبريني بقوله: "وكلامه فيه أحسن من أبي حامد – الغزالي – وأسلم"[٤٧].

وممن نسب للمدينة أيضا من أهل العلمم:

أبو علي حسين بن محمد بن سلمون المسيلي(ت.٤٣١هـــ/١٠٤٠م): من كبار فقهاء المالكية، ترعرع بمسقط رأسه المسيلة، ثم رحل عنها إلى الأندلس، حيث ولاه سليمان بن الحكم، عرف بحسن التفقه، اهتم بالنظر في المسائل، إلى أن وافته المنية بقرطبة وبها دفن[٤٨].

وكذا عبد الله بن حمو المسيلي(ت.٤٧٣هـــ/١٠٨٠م): يكنى أبا محمد، اشتهر بمعرفته بالأصول والفروع، انتقل من مسقط رأسه المسيلة إلى مدينة سبتة بالمغرب الأقصى حيث وليّ قضاءها، ومنها إلى العدوة الأخرى ليستقر بالمرية، ذكر صاحب الصلة روايته عن أبي إسحاق بن يربوع وغيره[٤٩].

وأشتهر منهم أيضا: أحمد بن أبي القاسم المسيلي(ت. ٧٨٩هـــ/١٣٨٧م): محدث فقيه بدوره، تولى قضاء بجاية حينها وتوفي بها[٥٠].

---

[٤٥] أبو عمران الشيخ وآخرون، المرجع السابق، ص ص٤٩٢، ٤٩٣.

[٤٦] أبو العباس أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار البصائر، للتوزيع والنشر، حسين داي، الجزائر، ط٢٠٠٧، ص١٥.

[٤٧] نفسه، ص ص١٣، ١٤.

[٤٨] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـــ/١٩٨٠م، ص٣٠٠.

[٤٩] ابن بشكوال، الصلة، ج٥، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١٤١٠هـــ/١٩٨٩م، ٤٥١.

[٥٠] نويهض، المرجع السابق، ص٢٩٩.

١- يوسف بن محمد أبو الفضل المعروف بابن النحوي(ت.٥١٣هـ/١١١٩م): رحالة علم وفكر، تتلمذ عن الإمامين المازري واللخمي وعبد الجليل الربعي وغيرهم من العلماء، تنقل بين تونس وتلمسان، دخل سجلماسة وفاس، أين نافس نظراءه من أهل العلم والفلسفة، ميالا للنظر والاجتهاد، فلقيت آراؤه رفضا من الفقهاء المخالفين له، وكذا أصحاب السلطان والجاه بهما، حيث منعه قاضي الجماعة بسجلماسة مثلا من التدريس/ وحال دون اختلاطه بطلبته، لينتقل منها إلى المغرب الأوسط بإقليم الزاب، وبالذات بقلعة بني حماد حيث زادت شهرته، وكثر انتاجه، رغم ميله للزهد، تتلمذ على يديه الكثير ممن اشتهروا من بعده، وبرعوا في علوم شتى من أمثال: الفقيه أبي عبد الله محمد المعروف بابن الرمامة كبير المفتيين بمدينة فاس، والأخوين أبي عمران ومحمد بني مخلوف بن خلف الله، والفقيه أبي عمران موسى بن حماد الصنهاجي، قال عنه ابن مريم:" كان أحد أئمة المسلمين وأعلام الدين"[٥١]، وذكر القاضي أبي عبد الله محمد بن حماد خصاله فقال:" هو في بلادنا بمنزلة الغزالي في العلم والعمل"[٥٢]، والقاضي عياض بقوله:" كان من أهل العلم والفضل"[٥٣]، اشتهر بنظمه الشعري الراقي، قصيدته " المنفرجة" والتي مطلعها:

مطلعها:

اشتدي أزمة تنفرجي *** قد أذن ليلك بالبلج

وظـــــلام الليل له سرج *** حتى يغشاه أبو الســـرج[٥٤]

وقوله في أخرى:

أصبحت فيمن لهم دين بلا أدب *** ومن له أدب عار من الدين

أصبحت فيهم غريب الشكل منفردا *** كبيت حسان في ديوان سحنون[٥٥]

الشاعرابن هانئ الأندلسي(ت.٣٦٢هـ/٩٧٢م)[٥٦]، شكل المناخ الثقافي الخصب الذي ميز إمارة بن حمدون بالمغرب الأوسط ، عامل جذب لأهل العلم، فكان من بينهم

---

[٥١] أبو عبد الله محمد بن أحمد الملقب بابن مريم المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه واعتنى بمراجعته: محمد بن أبي شنب، طبع في المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ص٣٠٠.

[٥٢] نفسه، ص٣٠٠.

[٥٣] نفسه، ص٣٠٠.

[٥٤] نفسه، ص٣٠٠.

[٥٥] نفسه، ص٣٠١.

[٥٦] هو أبو القاسم محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي، شاعر أندلسي أشتهر بفنه ونظمه، ولد وترعرع بإشبيليه، لينتقل بعدها إلى بلاط بني حمدون بالمسيلة، اين ذاع صيته، وزادت شهرته، له ديوان شعر حمل اسمه ضمنه قصائد عدة، مدح في الكثيرمنها الأسرة المذكورة،

ابن هانئ الذي تاق لعيش الرغد والميل إلى دعة، والاستقرار على عادة نظرائه من عموم الأدباء والشعراء، عقب ما تلقاه في الأندلس من إعراض أصحاب الجاه والسلطان، شدّ الرحال إلى بلاد المغرب ساعياً لتحقيق ما ترنو إليه نفسه من علو همة، ونجاح وشهرة، واستغلال ملكته بما يحققه له من مكانة ومال، فكان تواصله الأول مع أمير المسيلة "جعفر ابن علي بن حمدون" ذي النسب الأندلسي، الذي يكون قد حفز ابن هانئ للاتصال به، لانتسابهما مع للعدوة الأخرى، فكان مدحه بقصيدة أولى سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م، ضمنها اشادة بخصاله وبطولاته، شاكيا له فيها معاناته من التهميش والعسف بمسقط رأسه إشبيلية، وهو ما يكون قد استمال جعفر لضمه إلى حاشيته، ورجالات بلاطه، والاستفادة من نظمه في تلميع صورته، وهجاء منافسيه، خاصة زيري بن مناد الصنهاجي نظرا لتجاور الزعيمين في حاضرتي المسيلة وآشير، وكذا الصراع المحتدم بينهما، حول من يكون له شرف الحظوة عند الفاطميين، خاصة على عهدي المنصور بن القاسم (٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٢م)، والمعز لدين الله (٣٤١-٣٦٢هـ/٩٥٢-٩٧٢م)، فقد خصّ الشاعر جعفر بن حمدون بأكثر قصائده في المديح، ومنها قصيدته بعنوان: " مليك الملوك" جاء فيها:

إلى جعفر يتناهى المديح *** فيه تثير القوافي الحكم

خلقت شهابا يضيئ الخطوب*** ولست شهابا يضيئ الظُّلم

وأنك من معشر طفلهم*** يُتوج قبل بلوغ الحلم

ومما أعان عليّ الزمان *** عفاف يدي وعلوّ الهمم

فإني من العرب الأكرمين *** وفي أول الدهر ضاع الكرم[٥٧].

فلا نتعجب لهذا الود الذي يكنه ابن هانئ للأخوين، وهو في نفس الوقت يستعمل ذلك في التقرب من المعز كونه يعد أخا لجعفر من الرضاعة حسب ما ذهب إليه ابن خلدون، فقد نشأ الأخوين في كنف البيت الفاطمي خلال عهدي القائم ثم المنصور، بتكليفهما لحاجبهما " جوذر" بتربيتهما وبتنشئتهما تنشئة علمية، وتهيئتهما لتولي الإمارة والملك، وهو ما أكده ابن هانئ في في مدحه ليحيى:

خاصة أميريها جعفر ويحيى، وانتهاء بحصوله على لقب شاعر المعز لدين الله الفاطمي، للمزيد عنه، أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج١،ص١٦١؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، ج٨، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص٦٨.

[٥٧] ابن هانئ، ديوانه، ص ٣٣٠ وما بعدها، ويقول في مدحه للأخوين جعفر ويحيى معا:
وإن حصانا نمت جعفرا *** ويحيى لعاديّة المنتهى
فجاءت بهذا كشمس النهار*** وجاءت بهذا كبدر الدُجى
نفسه، ص٣١.

وتغدو على يحيى الوفود ببابه *** كما ابتدرت أم الحطيم المواسم

فتى الملك يغنيه عن السيف رأيه *** ويكفيه من قود الجيوش العزائم[٥٨]

وازداد الحرص عليهما، عقب مقتل والدهما على يد أيوب بن مخلد بن كيداد الخارجي وهو يبلي البلاء الحسن في الدفاع عن العرش الفاطمي أثناء ثورة هذا الأخير الثانية ابتداء من سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م.

٢- **ابن رشيق المسيلي القيرواني:(ت.٤٥٦هـ/١٠٦٣م)[٥٩]:** واحدا من شعراء البيت الزيري على عهد أميرها المعز بن باديس(٤٠٦-٤٥٣هـ/١٠١٥-١٠٦١م) و من رجالات الدولة، إذ وظفه حاجب المعز، ابن أبي الرجال ضمن طاقم ديوان الإنشاء، مكلفا بشؤون الجند، فكان من دواعي تصنيفه لكتابه " العمدة"، حيث أبدع الرجل فيما كلف به، إضافة إلى تبجيله له في معظم نظمه منها مطلع احدى قصائده:

عن مثل فضلك تنطق الشعراء *** ومثل فخرك تفخر الأمراء[٦٠].

فهو أبو علي حسن بن رشيق من مواليد سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م بالمحمدية – المسيلة – وإليها ينسب، مملوك من موالي الأزد، نشأ وترعرع بها، حيث تعلم صنعة الصياغة نقلا عن والده صاحب الحرفة، رحل إلى القيروان سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م، فأخذ عن جلّ علمائها، فكان من بينهم: أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي المعروف بالقزاز(ت.٤١٢هـ)، اتصل بالزيرين على عهد المعز بن باديس سنة ٤١٧هـ/ بعد مدحه له في قصيدة مطلعها: دمت لأعينك أعين الغزلان *** قمر أقر لحسنه القمران

من مصنفاته:العمدة في محاسن الشعر وآدابه، وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب.

---

[٥٨] نفسه، ص٣٣٨.

[٥٩] حسن بن رشيق المسيلي القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمعه وحققه: محمد العروسي المطوي وبشير بكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ص٥، ٦، وكذا ص ص١٢، ١٣.

[٦٠] ابن رشيق القيرواني، ديوانه، جمعه ورتبه عبد الرحمن ياغي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص١٦، وقوله فيه أيضا:
تثبت لا يخامرك اضطراب *** فقد خضعت لعزتك الرقاب
نفسه، ص ٢٤.

الخاتمة:

ساهمت مدينة المحمدية تاريخيا في إبراز مظاهر متعددة لحضارة سادت منطقة الزاب بكاملها، أبانت عن وجه ناصع لإمارة ذاعت شهرتها في المغرب والأندلس خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين(١٠/١١م)، رغم الصراعات التي عرفها البيت الحمدوني والاختلاف المذهبي والصراع العائلي، والتباين المذهبي الذي ميزّ الكثير من حواضرها، مما جعل المدينة عرضة للغرات المتكررة، نظرا لموقعها الوسطي الهام، وهو ما يفسر إقدام علي بن حمدون على إعادة بنائها وتجديدها بين الحين والآخر، فموقعها المتميز، ومكانة عمالها جعلها تساهم بصورة محورية في صنع الأحداث التي شهدها المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة ما بين التأسيس سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م ، وسنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م تاريخ مغادرة رابع الأئمة الفاطميين – المعز لدين الله – لبلاد المغرب، بعد أن عرض على علي بن حمدون مهمة إدارة شؤون بلاد المغرب نيابة عنه، وأبى ذلك إلا بقبول الشروط التي يفرضها هو، نظرا لما بلغته ولاية الزاب على عهد المؤسس علي بن حمدون، أو عهد ابنيه جعفر ويحيى، بعد أن عانت من ضغط ثورة الخارجي أبي يزيد مخلد بن كيداد، عندما تحولت إلى محطة تجميع للجيوش الفاطمية لصدّ حركته ما بين ٣٣٤-٣٣٦هـ/٩٤٥- ٩٤٧م، بل تعرضت المدينة لحصار وعوز ابان اعتصامه بالجبال المحيطة بقلعة كيانة المشرفة عليها، ورغم ذلك أبلى ولاة المدينة وحواضر الزاب كله، بدعم قسم كبير من ساكنتها البلاء الحسن، مما وفر للمدينة دعما، بوأ أمراءها حصولهم على رضى القائميين على السلطة المركزية الفاطمية بالمهدية، رغم التنافس شهدوه من خصومهم الزيرين.

ومع هذا كله كان للمدينة أثرها الواضح في الحياة العلمية، بحكم موقعها الوسطي الذي جعلها تستوعب الكثير من أرباب الثقافة والفكر، استنادا إلا طبيعة الأسرة الحمدونية التي تميزت بكونها بيت علم متأصل أبا عن جدّ، وهو ما عبرت عنه مظاهره المختلفة، رغم أن خاتمة الإمارة انتهت إلى مغادرة الأخوين جعفر ويحيى لحاضرتهما المحمدية، بعد توتر العلاقة بين جعفر الذي رفض عرض المعز لدين الله الفاطمي، والمتمثل في إشرافه على إدارة شؤون المغرب نيابة عنه، عشية مغادرته له باتجاه مصر سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، والتي أوردها المقريزي في مصنفه "اتعاظ الحنفا" بقوله: "ولما عزم- المعز- على المسير إلى مصر أجال فكره فيمن يخلفه بالمغرب، فوقع اختياره على أبي أحمد جعفر بن علي الأمير، فاستدعاه وأسر إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب، فقال: تترك معي أحد أولادك أو إخوتك جالسا في القصر، وأنا أدبر، ولا تسألني عن شيئ من الأموال إن كان ما أجبيه بإزاء ما أنفقه، وإذا أردت أمرا فعلتُه ولا أنتظر ورود الأمر فيه، لبعد ما بين مصر والمغرب، ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره من قبَل نفسي، فغضب المعز وقال:

يا جعفر: عزلتني عن ملكي، وأردت أن تجعل لي شريكا في أمري، واستبدت بالأموال والأعمال دوني، قم فقد أخطأت حظك، وما أصبت رشدك، فخرج"[٦١] . وهو ما فتح الصراع بعدها على أشده بين عائلة بن حمدون والزيريين الذين استفادوا من الموقف، بقبول أبي الفتوح يوسف بلكين بن زيري بن مناد بالعرض الفاطمي المذكور الذي طرح على جعفر بن حمدون، إذ يذكر النويري أن المعز كتب سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م، إلى يوسف بلكين يطلبه لخلافته في إدارة شؤون المغرب نيابة عنه، فامتثل لأمره[٦٢]، وكذا تمكنه من تصفية زيري بن مناد زعيم قبيلة صنهاجة، عقب مواجهة عسكرية جمعتهما، مما دفعه لمغادرة المغرب الأوسط والارتماء في أحضان أمويي الأندلس.

وما ننتهي إليه أخيرا وحسب ما تقدم ذكره، فإن المدينة ذكرت في أغلب المصادر التاريخية والجغرافية، بدورها الفعال إن على المستوى السياسي أو الحضاري، غير أن عملية البحث الثري لم تطلها حتى الآن، نظرا للصعوبات التي تعترض مثل هذه العمليات غالبا، كونها تقع ضمن مناطق الهضاب العليا المحاذية للمناطق الجنوبية التي تكثر بها رواسب الطمي، التي يحتمل أن تكون المدينة قد طمرت تحتها، وهو ما يدفع الباحثين في الجزائر إلى الاتجاه نحو تكثيف عمليات المسح الأثري للمنطقة، حتى يتسنى لنا الوقوف ميدانيا على ما ورد في المصادر المتنوعة، والتي حاولنا من خلال هذه الدراسة الوقوف على حقائقها التاريخية والجغرافية، حتى يتسنى للمختصين العمل بجدية لكشف أطلال المدينة وأسرارها، بما يضمن إضافتها إلى نظيراتها من الحواضر المحاذية لها، التي تم التعرف عليها ميدانيا، ووضع مخططات لها، إما إبان الفترة الاستعمارية أو بعد الاستقلال، على غرار مدينتي آشير وقلعة بني حماد، والصور الملحقة بها البحث للمسجد الكبير – العتيق – بالمدينة يبعث بإشارات على وجود مخلفات لمنشآت معمارية مماثلة في نفس المنطقة.

[٦١] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، تحقيق جمال الدين الشيال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط ١٩٩٩، ص٩٩.

[٦٢] النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٦٨.

الخرائط والصور والأشكال

الخريطة رقم (١)

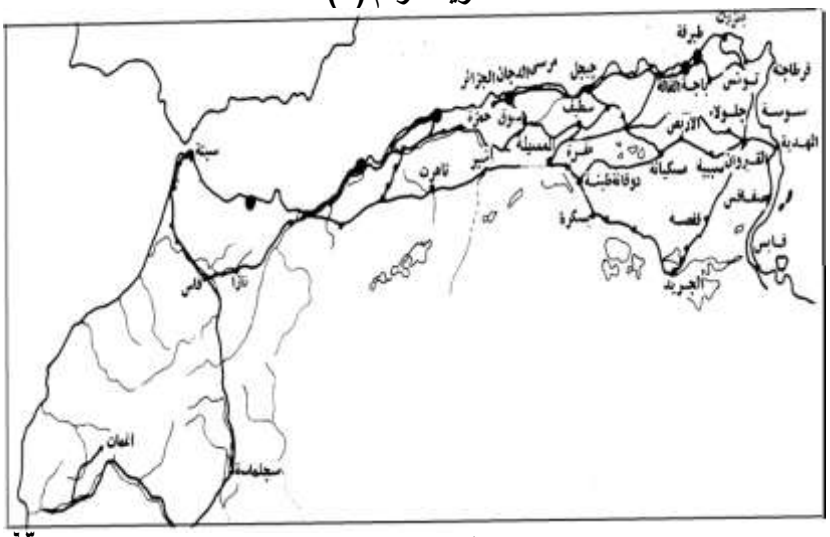

المغرب الإسلامي خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/٩-١٠م -بتصرف - [٦٣]

الصورة رقم (١)

المسجد الكبير بمدينة المحمدية -المسيلة- [٦٤]

٦٣ الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي الحياة الإقتصادية والاجتماعية (٣-٤هـ/٩ -١٠م)، الدار التونسية للنشر، تونس، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١٩٧٨، ص ٢٣٤.

[64] https://www.facebook.com/msila.9dima/photos - 31-01-2017

الصورة رقم (٢)

المسجد الكبير بالمحمدية - المسيلة - من الداخل[٦٥]

الصورة رقم (٣)

منظر عام لمدينة المحمدية - عمق الحضنة - [٦٦]

[65] https://www.facebook.com/msila.9dima/photos - 31-01-2017
[66] https://www.facebook.com/msila.9dima/photos - 31-01-2017

ثبت المصادر والمراجع (البيبليوغرافيا):

أ- المصادرالعربية:

١- إدريس عماد الدين الداعي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب - القسم الخاص من كتاب: عيون الأخبار - تحقيق: محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط,٢

٢- البكري أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.

٣- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ، معجم البلدان، ج٤،٥،٧، دار صادر بيروت، لبنان، ط١٩٧٧.

٤- الحميري محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط,١٩٨٤

٥- الزركلي خير الدين ، الأعلام، ج٨، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.، ص,٦٨

٦- الغبريني أبو العباس أحمد ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، دار البصائر، للتوزيع والنشر، حسين داي، الجزائر، ط,٢٠٠٧

٧- القاضي النعمان، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٢، ,١٩٨٦

٨- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الحنفا، تحقيق جمال الدين الشيال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط ١٩٩٩,

٩- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٤، تحقيق: حسين نصار، ومراجعة: عبد العزيز الأهواني، المكبة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٠- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٨، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، ومحمد حلمي محمد أحمد، دار الكتب المصرية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، مصر، ط,١٩٩٢

١١- ابن بشكوال، الصلة، ج٥، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١٢- ابن حماد الصنهاجي أبو عبد الله محمد بن علي ، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة: التهامي النقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، مصر، د.ت.

١٣- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مج ١، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

١٤- ابن رشيق حسن المسيلي القيرواني ، ديوانه، جمعه ورتبه عبد الرحمن ياغي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.

١٥- ابن رشيق حسن المسيلي القيرواني، أنموذج الزمان في شعراء القيروان، جمعه وحققه: محمد العروسي المطوي وبشير بكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٦- ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، وقف على طبعه واعتنى بمراجعته: محمد بن أبي شنب، طبع في المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

١٧- ابن هانئ الأندلسي، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص,٥٢

١٨- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، تحقيق ومراجعة: ج.س.كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٣.

ب- المراجع العربية:

١- ورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ – العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني- ج٣، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط ,١٩٨٤

٢- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط٣، ,١٩٦٤

٣- الحبيب الجنحاني، المغرب الإسلامي الحياة الإقتصادية والاجتماعية (٣-٤هـ/٩ -١٠م)، الدار التونسية للنشر، تونس، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١٩٧٨.

٤- سعد زغلول عبد الحميد، المغرب العربي – الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين – ج٣، الناشر: منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط ,١٩٩٨

٥- صالح بن قربة، تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي – دراسة تاريخية أثرية- منشورات الحضارة، بئر التوتة ، الجزائر،ط,٢٠٠٩

٦- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٧- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (٢٩٦-٣٦٥هـ/٩٠٩-٩٧٥م) التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١٩٩٤، ص ص,١٧٥،١٧٤

٨- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ط٢،د.ت.

ج- الرسائل الجامعية:

١- بيرم كمال، بلدية المسيلة المختلطة دراسة اقتصادية واجتماعية (١٨٤٥-١٩٤٥)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستيرفي تاريخ وحضارات البحر المتوسط، (مخطوطة)، إشراف أ.د/ مصطفى حداد، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٥/,٢٠٠٦

٢- بن النية رضا، صنهاجة المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي حتى عودة الفاطميين إلى مصر(٨٠-٣٥٢هـ/٦٩٩-٩٧٣م) دراسة اجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: د. بوبة مجاني، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية ٢٠٠٥/٢٠٠٦،

٣- رحلي صليحة، المسيلة وجهتها في العصر الوسيط دراسة منوغرافية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: أ.د/ علاوةعمارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، السنة الجامعية ٢٠١٣/٢٠١٤،

٤- سعداني محمد، أسرة بني حمدون الأندلسية ودورها في المغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري/١٠م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة، الإسلامية، إشراف: أ.د/ محمد بن معمر، كلية العلوم افنسانية والاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، السنة الجامعية٢٠٠٧/٢٠٠٨.

د- المجلات والدوريات:

١- فخار إبراهيم ، " بنو برزال لمسيلة"، مجلة الثقافة، العدد٢٠، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، الجزائر، ربيع الأول والثاني ١٣٩٤هـ/ أفريل - ماي ١٩٧٤ (ص ٣٠-٤٧).

٢- إبراهيم زكي خورشيد، دائرة المعارف الإسلامية، مادة " آشير" مقال لمحمد بن أبي شنب، مج ٢، د.ط.ت.

٣- المكي محمود علي ، " في الأندلس"، صحيفة المعهد المصري للدرسات الإسلامية في مدريد، يصدرها المعهد المصري للدراسات، مج ٢، طبع بمطبعة المعهد المصري بمدريد، مدريد، اسبانيا، ط١٩٥٤، (ص٩٣- ١٤٩).

٤- اليعلاوي محمد ، "بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر بن هانئ الأندلسي"، مجلة الأصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر، العدد ٢٤، السنة الرابعة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، أفريل - مارس ١٩٧٥ (ص ٤٨-٦١).

٥- لقبال موسى، "طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى"، مجلة الأصالة، العدد ٦٠/٦١، السنة السابعة، تصدرها وزارة الشؤون الدينية بالجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،أوت - سبتمبر ١٩٧٨ (ص٨٣-١٠١).

Muhammadiyah site (Masila) - Middle Maghreb-

and the role of Civilization between the fourth and fifth centuries(4-5 siècle H) (10-11 Jc)

Dr.Moussa Haissam

Abstract:

Muhammadiyah Msila, Middle Maghreb (Algeria now) was founded by the city worker Ali Iben Hamdoon Iben Samak El Djzami year (315 AH / 927 AD), by order of the ruling Fatimid Abou El Kassim Mohamed - based order of God - Attributed to him.

the selection of site construction was based on geographic qualifications ensured natural vaccinated, according planned to achieve the goals, which performed a military role and civilization one in order to be a strong stand bulwark and advanced to protect the western border of the Fatimid state, which has faced several challenges, most notably the threats of different tribe of Zenata.

On the other hand performed the roles of civilized taking advantage of its location and the important road link between Kairouan and Sijilmasa, and the exploitation of the available resources in the brood space. similar to other capitals of Middle Maghreb, were a strong supporter of the Fatimid state in establishing bases in the whole region.